

رواية (فيلسوف الكرنيتينة)

دراسة سوسيو نصية

د. عائشة عبدالله ناصر المزيجي (*).

الملخص:

يهدف البحث إلى معرفة الوضع القائم في مضامين رواية (فيلسوف الكرنيتينة) ودلالاتها، ومن ثم الكشف عن الوعي الممكن، من خلال أساليب السرد التي تسهم في تقديم الأحداث ومواقف الشخصيات الحاملة للرؤى، بتوظيف الحوار وتعددية الأصوات التي تمكن من كشف مجتمع الرواية، باعتبار هذه الأخيرة هي الواقع لدى باختين. وقد احتوى البحث على مقدمة ومحورين ونتائج: اهتم المحور الأول بالوعي القائم بالنظر في الدلالات الاجتماعية والسياسية في أسلوب الحوار وتقنية الوصف، وركز المحور الثاني على الوعي الممكن بالوقوف على مقاطع المحور الأول نفسها، باعتبار أن الوعي الممكن تال للقائم ومطلب يأتي على إثره. واعتمد على البنيوية التكوينية التي تجمع بين البنية والمضمون، وتطبيق الوعي القائم والممكن لدى غولدمان. وتوصل إلى جملة من النتائج من أهمها: أن الرواية تتضمن واقعا فنيا، له شخصيات وأحداث تعكس لون الوضع القائم وما تطمح فيه مستقبلا.

الكلمات المفتاحية: الوعي القائم، الوعي الممكن، البنيوية التكوينية، السرد اليميني، أساليب

السرد.

(*) أستاذ مساعد النقد الحديث - جامعة ذمار، كلية الآداب. ash770225473@gmail.com

The Novel 'Faylasuuf Al-Karantinah'

A Socio-textual Study

Abstract

The current research tends to explore the current status in the contents of the novel 'Faylasuuf Al-Karantinah' (The Karantina Philosopher) and its implications. It then attempts to reveal the possible awareness through narration styles that contribute to presenting the events and the attitudes of the visionary characters, in employing dialogue and the plurality of voices that enable to reveal the society of the novel, in view of the fact that the latter is Bakhtin's reality. The research includes an introduction, two parts and the results: the first part is concerned with the current awareness taking into account the social and political connotations through the style of the dialogue and the technique of description. As for the second part, it focused on the possible awareness by familiarizing with the first part itself, given that the possible awareness follows the current status and a demand that comes immediately after it. It also adopted the formative structuralism that combines structure and content and applied Goldman's current and potential awareness. The research has reached a set of results the most important of which are that the novel comprises an artistic reality, with characters and events that reflect the shade of the current situation and what it aspires to in the future.

Keywords: Current awareness; Potential awareness; Formative structuralism; Yemeni narration; Narrative styles

مقدمة:

تعد السوسولوجية اتجاهها نقديا يغير المنهج الاجتماعي التقليدي، الذي ينظر إلى النص من زاوية تحد من إمكانات النص الجمالية، تقتصر على المضمون الاجتماعي والكشف عن بيئة الكاتب، ومجانسة ما في النص لما يلتصق به القارئ.

وقد كانت بداية السوسولوجيا عند الفلسفة الإغريقية التي فصلت بين عالم المثل والعالم الكائن، فأصبح الفن عند أفلاطون محاكاة للعالم والوجود المادي، والفن لديه نسخة مقلدة ومشوهة. أما أرسطو فيعتمد مبدأ الوسطية، وهو يرى الأدب محاكاة " ما ينبغي أن يكون في الواقع ⁽¹⁾، ومن بعد

كانت الرؤية إلى الأدب عقلانية، ترى العمل الفني " نتاجا للنشاط الإنساني، وغاية وهدفا في ذاته⁽¹⁾.

وللسوسيولوجيا جذور في واقعية القرن التاسع عشر، عند وقوف الكاتب على هموم الطبقة المتدنية، المناهضة للبرجوازية والرأسمالية، التي لا تعترف بحقوق الفرد، تمثلها رواية بلزاك وتولستوي وإميل زولا.

وهناك دراسات عديدة مهدت لظهور السوسيولوجيا، ففي القرن الثامن عشر كانت رؤية مونتكيو في كتابه روح القوانين، وفيه الأدب ظاهرة اجتماعية، ودرس سانت بيغ المبدعين دراسة بيوغرافية، جمع فيها مميزات المبدعين الفيزيولوجية والعقلية والأخلاقية والمزاجية، انطلاقا من أوساطهم الاجتماعية والمادية.

وتعد دي ستايل الفرنسية أول من قارب السوسيولوجيا في كتابها (الأدب وعلاقته بالأنظمة الاجتماعية) عام 1800م. تقوم هذه الدراسة بتفسير العمل الأدبي مرتبطا بالعادات والتقاليد والدين⁽²⁾. ويؤسس هيولنت تين للقراءة الاجتماعية (1828م _ 1893م)، ونظريته مرآوية بامتياز، تعتمد على الانعكاس في ظل المحاور الثلاثة: الجنس، البيئة، اللحظة التاريخية في إشارة " لفردانية المبدع، والعمل الأدبي نقل للتقاليد المعاصرة وتعبير عن عقل من نوع ما⁽³⁾.

وللسوسيولوجيا اتجاهان:⁽⁴⁾

1 - اتجاه كمي: كما في دراسة سكاربيه الإحصائية في كتابه (علم اجتماع الأدب)، يدرس فيه عدد الطبقات ودرجة انتشارها، ومدى عرقلتها، وردود أفعال المستهلكين، مفصلة على النحو الآتي:

- سوسيولوجيا الكاتب: نشأته وأصوله الاجتماعية، وبيئة ورؤية الكاتب التي يتبناها.

(1) ينظر: علم الجمال وفلسفة الفن: 60

(2) أدبية النص محاولة لتأسيس منهج نقد عربي: 177

(3) المرجع السابق: 178

(4) علم اجتماع الأدب، النظرية والمنهج والتطبيق: 149

- سوسولوجيا الكتاب: متابعة إنجاز الكتاب، مرحلة الإنتاج، التوزيع، التسويق، ومدى تأثير الكتاب في المجتمع، أو طبقات معينة منه.

- سوسولوجيا القراء: يهتم بعنصر القارئ، حيث يتوقف نجاح العمل جماهيريا على عدد القراء، ونسبية مبيعات الكتاب.

2- اتجاه جدلي: يرجع إلى هيجل وماركس، والعلاقة الجدلية بين البنى التحتية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والبنية الأدبية، والجدل كائن في صراع المتناقضات، والكم والكيف، وترجيح ما هو مادي واقتصادي على الثقافي الفكري، فالأدب من المنظور الماركسي «شكل أيديولوجي يمكن النظر إليه بوصفه أحد العناصر الجوهرية المكونة للبناء الفوقي للمجتمع حين يعكس جوانب محددة من البناء التحتي الاقتصادي أو البناء الاجتماعي بصفة عامة»⁽¹⁾

ولم تصل السوسولوجيا إلى مرحلة الربط بين فنية النص والمواضيع الاجتماعية السياسية الاقتصادية الدينية إلا بعد عدة آراء، منها ما طرح لينين في مقالاته، وهو يقابل بين أيديولوجيا المجتمع والإيديولوجيا في روايات تولستوي، وكانت رؤية جورج بليخانوف أكثر تقدما في السير نحو الجمع بين جانبي النقد الجمالي السوسولوجي إذ يقول " إن كل أيديولوجي بما فيها الفن وما يسمى بالأدب الجميلة إنما تعبر عن الميول والأحوال النفسية لمجتمع بعينه"⁽²⁾ وعلى الرغم من تمثل جورج لوكاش لنظرية الانعكاس، في كتابه التاريخ والوعي الطبقي، إلا أنه تخلى عن ذلك ورأى ابتعاد النص عن أن يكون مجرد انعكاس للبنية التحتية، ولم تأخذ آراؤه حيز التطبيق في واقع مساره النقدي، بل كانت دليلا اعتمد عليها تلميذه لوسيان غولدمان، الذي جمع بين بنية المجتمع والشكل البنوي للنص، في منهج أسماه بالبنوي التكويني، منهج سوسيو بنائي، استمدته من الجدلية المادية الماركسية والبنوية، وهو تطور للنقد السوسولوجي، يؤسس لقراءة تجمع بين السياق النصي والاجتماعي، تدعو إلى تحليل النص من عزلته الشكلية وانغلاقه على نفسه، والخروج عن رؤية أن أيديولوجيا النص سيطرت على النقد السوسولوجي، فيكون النص شارحا للاجتماعي، والاجتماعي مفسرا للفني.

(1) علم اجتماع الأدب، النظرية والمنهج والتطبيق: 149
(2) الفن والنص المادي للتاريخ: 59

إن الأدب لدى غولدمان ما هو إلا تطلعات الفرد في هذا المجتمع والأديب يختزل ضمير الجماعة منتجا رؤية العالم، يتعامل مع اللاوعي الاجتماعي داخل المتخيل الأدبي من خلال الجمع بين البنى الاجتماعية والنصية (1).

وقد مرت دراسة غولدمان بمرحلتين (2):

" 1 - فهم ما في النص من بنية جمالية.

2 - التفسير: ربط إنتاج النص بما في المجتمع من جوانب اجتماعية، اقتصادية، سياسية، فكرية، ليس على أنه انعكاس مباشر للمجتمع، بل رؤية للعالم مختزلة لدى الفرد، تتطلع إلى تغيير ما هو سلي".

ومن تطور النقد السوسولوجي ما كان على يد باختين، بقوله بسوسولوجيا النص قبل وجود المنهج البنيوي، وهو يرى وجود البنية الاجتماعية في مكونات النص، فاللغة "ظاهرة مجتمعية حساسة لكل التغيرات الممكنة والمحتملة، تستوعب كل عمليات الفكر والوعي" (3)، يؤكد ذلك اشتغاله بالرواية الحوارية، وتعدد اللغات فيها، والتي يقصد بها الخلفية السوسيو تاريخية للأفراد لا البنية التعبيرية" إذ تتراعى وراء جميع اللغات الاجتماعية صور المتكلمين بملابسهم الملموسة الاجتماعية والتاريخية، ويصبح الجنس الروائي لا يجسد الإنسان، بل صورة لغته" (4). ويذكر باختين أن "نظام اللغة فضاء غير محايد، وغير خارج عن الأيدولوجية، والنصوص الأدبية بوصفها كيانات لغوية دلالية ستصبح مجالا أساسيا للصراع الإيديولوجي" (5).

وجاءت آراء الناقد بيير زيمبا (6) - بالنظر إلى بنية النص لأجل المضمون - تدعم قول باختين

وغولدمان.

(1) ينظر: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الأصول المنهجية: 98، 99

(2) ينظر: النقد الروائي والإيديولوجيا: 68

(3) الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيونائية في روايات عبد الحميد هدوقة: 62.

(4) الخطاب الروائي: 92 .

(5) الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي: 68

(6) ينظر: النقد الاجتماعي، نحو علم اجتماع للنص الأدبي: 8

وسيدرس هذا البحث رواية فيلسوف الكرنيتية في المحاور الآتية:

المحور الأول: الوعي القائم

للرواية المدروسة مجتمع وواقع قائم فني، سواء أكان إيجابيا أم سلبيا، وهذا الوعي القائم ينتج عن " الماضي بطبيعته كموروث، بكل زخمه الحضاري والثقافي والتاريخي، الذي جاء إلى الحاضر، الذي يعيد فهمه وصياغته انطلاقا من تلك المؤثرات والمعتقدات الراسخة في ذهن الجماعة الاجتماعية التي تحكم مصيرها وتسير شئون حياتها"⁽¹⁾.

أ- الدلالة الاجتماعية والسياسية والدينية في أسلوب الحوار

تبرز الدلالات السوسيوسياسية والدينية والثقافية خلال تعددية أصوات أطلق عليها باختين (الحوارية)، فيها تبعد هيمنة الراوي ورؤيته الأحادية في مجتمع الرواية، فالحوار هو " الكلام الملفوظ بين الشخصيات، وتقع عليه مسؤولية نقل حركة الحدث من نقطة إلى أخرى داخل النص، وهي عملية تتحول من خلالها الفكرة إلى جزء فاعل له صيغة عمل داخلية نابعة من منجزات الحدث وتفصيله"⁽²⁾، وبحسب باختين فإن الشخصية "لا تعد ناطقا باسم المؤلف، إنها تتمتع بدرجة استثنائية من الاستقلال في بنية العمل، تعبر عن آرائها بحرية جنبا إلى جنب مع خطاب المؤلف"⁽³⁾ في متن الرواية التي تتيح نوعا من ديمقراطية التعبير داخلها.

ويفيد الحوار في كسر رتابة السرد، ويمكن المتلقي من التزامن مع جو النص، حتى يكون في موقع المشاهد للحدث، وهو يسمع صوت الشخصية ويكشف انفعالها ورؤاها في جوانب الحدث، سواء أكانت إيجابية أم سلبية.

وأولى نماذج الدراسة في رواية فيلسوف الكرنيتية قضية سوسيودينية تتناص مع القرآن الكريم، في مشهد حوار مباشر بين الحاكم القحطاني والفيلسوف، وهما شخصيتان رئيسيتان على مستوى الرواية، وحوارهما

(1) البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الأصول المنهجية دراسة في نقد النقد: 160
(2) الحوار القصصي: 30
(3) المبدأ الحوارية: 192

كالآتي:

- القحطاني للفيلسوف: هل ظلمك أحد من رعيتي؟

- الفيلسوف: نعم فإني وصلت إلى مقبرة زيمة بالأمس، فما والله ذقت حتى قطرة ماء واحدة، وإني لأوشك على الهلاك من العطش.

- القحطاني: لو كنت أسقيتهم لسقوك.

_ الفيلسوف: بلى، فعلت، وطلبت من زيمة رغاء أن تسقيني فكشفت لي عن عورتها، فوليت منها فرارا بعفتي وشرفي، ثم لقيت زيميا ناهز السبعين جثة أو نيف، وسألته أن يدلني على مكان الماء فأشار إلى سواته وراودني عن نفسه، فظنت الديدان ظن السوء، وسولت لهم أنفسهم الفتك بي، ولكن حسن تصرفي أنقذني من الهلاك على أيديهم"⁽¹⁾.

يتناص المقطع مع القرآن في قصة يوسف، لتبرز قضية سوسيوثقافية اجتماعية دينية، يتبدى فيها انحطاط الوضع القائم الديني لفئة الشباب والشيخ الكبير، وهما يمثلان رعية الحاكم القحطاني، وهي رؤية تظهر بين ثنائية جمال الغيداء الحسي / اللاجمال بانحطاط أخلاقها، والغيداء تراود الفيلسوف، وتكشف له عن عورتها، وثنائية وقار الشيخ / وفساده، وهو يراود الفيلسوف عن نفسه. وهذا الانحلال الأخلاقي لا يغيب عن علم الحاكم (الجانب السياسي)، إذ يصرح بقوله: « مع الأسف ابتلاني الله بأحط وأنذل رعية في العالم"⁽²⁾، ويجسد السارد في المقطع سلبية الرؤية الخارجية للفساد بزمن خيالي «الجنة»، يوظف هذا الزمن والرمز صفة لمرحلة الشيخ العمرية، ويرمز إلى اللاحياة في واقع الشيخ المعيش، لما يقوم به من فعل يناقض وقاره.

وفي متن الرواية قضية سوسيوثقافية شخصيتها الأديب (الشاعر) خلال مشهد حوار مباشر، على النحو الآتي:

(1) فيلسوف الكرنتينة: 34

(2) السابق: 35

" الشاعر شيحان وعينه تشعان ببريق غير معهود: توصلت إلى فكرة ستنقذني من حالة الفقر التي أعيشها، توصلت إلى فكرة مدهشة سأنشر قصيدة في مدح خصال القحطاني الكبير، وأذيلها بثلاثة أبيات، وأشرح فيها ظروف المادية الصعبة التي حالت دون تفرغي لكتابة الشعر.

الحوصلي: انتبه تنقذ هذه الفكرة الحقيرة، أنت شاعر محترم، وينتظرك مستقبل مشرف.

الشاعر شيحان: "أنت تقول هذا الكلام، لأنك تستلم مرتبا شهريا من وزارة النفط، وقدره عشرين ألف ريال، وتنظر وأنت تضع رجلا على رجل عن الشرف والاعتزاز بالنفس والفضيلة والاعتماد على الذات، ولكنك لا تشعر بمعاناة من حولك، أقرب المقربين إليك، يبدو أنك نسيت وأنت تكيل لي النصائح أنني عاطل عن العمل، ولا أملك في جيب رايالا واحدا، وأنت لم تسأل نفسك يوما ما، كيف أتدبر أمر لقمتي لأبقي نفسي حيا"⁽¹⁾.

يعد الحوار "مسرحة للحركة والأفكار، ودراما ناطقة"⁽²⁾، كما يرى بيرسي لوبوك، يكشف عن رغبة الشخصية ورؤاها، ففي المقطع يقارن الشاعر وضعه الاجتماعي، بمستوى موظف شركة النفط، في ظل حكم القحطاني الكبير، الذي لا يبالي بطبقة الأدباء، مما جعل الشاعر يستجدي عطاء الحاكم بالمدح، وهنا يتناص المقطع مع التاريخ الأدبي، ويلتقي الماضي مع الحاضر ليعكس هموم الواقع، التي أدت إلى خروج القصيدة عن أن تكون فضاء للروح والأفكار الحرة، عند تقيدها بحاجة الذات المادية.

وتبدو الرؤية الذاتية الانتقادية بصوت الشخصية، بالمقارنة بين ثنائية ريال واحد / عشرون ألف، واستجداء الشاعر عطاء الحاكم/ واعتزاز موظف النفط، مصحوبة الرؤى بانفعال الشاعر خلال الحوار، الذي يكشف هم الشخصية الاجتماعي، فبدت تجادل الآخر وتحاججه.

وحوار مباشر آخر بين الفيلسوف مشعل والشخصية حصة يتضمن رؤية اجتماعية موضوعية،

من قبيل:

(1) فيلسوف الكرتينية: 95، 96 .
(2) صنعة الرواية: 156.

"الفيلسوف يحاور حصة: يمكنني أن أقدر أن (99) في المائة من الزميين يعملون أعمالاً لا تناسبهم، ونتائج ذلك واضحة للعيان، ويمكنني أن استشهد هنا على سبيل المثال بأسرتك الواقعة تحت وطأة ظروف معيشية قاسية، وحدث هذا جراء عدم عثور أفراد الأسرة على المهنة التي تلائمهم، أعتقد أنه لا بد من عمل انقلاب هائل في مجتمعنا؛ لكي يزول كل فرد المهنة التي تتجلى عبقرية عمله فيها"⁽¹⁾.

يرى الفيلسوف بوصفه شخصية مشاركة في الحدث أن عدم مزولة الفرد للمهنة المناسبة، يعد هماً اجتماعياً، يعزى إلى تقصير الجانب السياسي، ونتيجته تدني مستوى طبقة الشعب، فيستدعي من وجهة نظر الفيلسوف انقلاب أفراد المجتمع على الجهة الحاكمة.

وموضوع سوسيو سياسي يبدو فيه قهر وقمع الرعية من مضمون حوار مباشر بين السفير وويلسون والحاكم القحطاني، القائم على أمور الرعية، ويوظف في الحوار الرمز الذي له طاقة تعبيرية فاعلة في النص "بالتلميح والإيماء"⁽²⁾ بعيداً عن المباشرة الظاهرة، من المقطع الآتي:

"السفير وويلسون: فكري شديدة البساطة، فبما أن الفيلسوف يدعو الديدان إلى الارتقاء والتطور بقصد الوصول إلى طور التأنسن، للافتكاك من هيمنتكم وسلطانكم، فإن علينا أن نبحث عن صخرة تسد عليهم الطريق قبل أن يصلوا إلى إنسانيتهم، ينبغي علينا عرقلتهم قبل أن ينجحوا في تحقيق هدفهم المنشود، واجبنا جميعاً هو إجهاض مشروع الفيلسوف بأي ثمن، لا بد لنا من وقف تطور الديدان.

قاطعته القحطاني الكبير مبهور الأنفاس:

- وهل قرار الأذيال قادر على ذلك.

تابع السفير وويلسون وقد أخذه الحماس واتقدت عيناه تصميمًا: نعم، وأكثر من ذلك، إن قرار الأذيال سيعوقهم نهائياً عن بلوغ الذروة، التأنسن! بل وأكد أجزم أنهم سينزلون درجة إلى الأسفل في

(1) فيلسوف الكرتينية: 91.
(2) ينظر: نظرية المصطلح النقدي: 124.

سلم الكائنات الحية، إنها نفقة مضادة للتطور نقلة إلى الوراء ربما مليون جثة دفعة واحدة، وهذا بالطبع سيساهم في إحكام سيطرتكم على الديدان.

- صفر القحطاني الكبير إعجاباً بالفكرة فقال وقد انبسطت أساريه بعض الشيء: مذهل سنهدم الأهرام الضخم الذي شيده الفيلسوف بإزاحة حجر واحد! (1).

من رموز المقطع (ديدان، أذبال) يستدل على وضع الشخصيات في ظل حكم القحطاني، فالرعية ديدان على سبيل التحقير، والأذبال تلتصق بالرعية، وتجرحهم إلى الأسفل، عبر الفلاش باك، والنقطة إلى الوراء (2) بما يقدر بمليون جثة، ترمز إلى التسفل واللاحياة في الواقع المعيش، مما أدى إلى وجود صراع بين الحاكم ورؤيته الاستعبادية، وإعجابه بفكرة وضع الأذبال في مؤخرة أجساد الرعية/ وبين دعوة الفيلسوف إلى تأنسن الديدان، وهدفها رفع الرعية عن الانحطاط.

اشتملت الحوارات السابقة على رؤى ودلالات تنتج من علاقات حوارية تواصلية بين الشخصيات، تجتمع حول وجهة نظر واحدة، تتمثل في فساد حكم القحطاني البارز في الجوانب الدينية والاجتماعية والاقتصادية وتأثير ذلك على رعيته.

ب - الدلالة الاجتماعية والسياسية أثناء توظيف تقنية الوصف.

تبدو الدلالات الاجتماعية والسياسية عبر تقنية الوصف السردية، التي لا تقطع - في الرواية الحديثة - سير السرد، حين توظف "بنية وممارسة نصية" (3)، وتعد "غاية في حد ذاتها" (4)، وليست مجرد وسيلة وهي تتبنى نقل الرؤى السوسولوجية في عدة مقاطع، يصاحب فيها السارد / الواصف شخصية الفيلسوف الرئيسة، وشخصيات أخرى، تصارع هموماً سياسية اجتماعية ثقافية، كما في الوصف الحسي المعنوي للمعلم، في المقطع الآتي:

(1) فيلسوف الكرتينية: 219، 220 .

(2) الفلاش باك: الإيهام الفني بتكسر الزمن السردية، وأنواعه: الاسترجاع الخارجي، الداخلي، المزجي. ينظر: تهجين الاتجاه في سرد ما بعد الحداثة: 48

(3) شعرية الفضاء: 71 .

(4) بنية الشكل الروائي: 175 .

«مر الفيلسوف بالقرب من مدرسة ابتدائية، واستفزه منظر معلم ملتج، يتطاير الشرر من عينيه، ويحمل خيزرانة رهيقة، لف عليها لاصقا أسود اللون؛ ليرسل الرعب في قلوب الطلبة المتأخرين، وقد وقف متواربا خلف الباب، وقدمه تنكث التراب متشبهها بالثور، حين يتأجج الغضب في عروقه»⁽¹⁾.
 في السوسيونصية تعرف مكونات النص الفنية بالواقع، وفي المقطع يتداخل الوصف الخارجي للمعلم بالوصف السردي الإيحائي، الذي ينقل انفعال المعلم «يتطاير الشرر من عينيه، يحمل خيزرانة رهيقة، لف عليها لاصقا أسود اللون»، وقد بدا تناسب وجود اللحية مع انفعاله السلبي ضد طلبته، الذين يصل إليهم الرعب من هيئة ووقفه المعلم وحركته " وقف متواربا خلف الباب، قدمه تنكث التراب "، ويمثل الواصف المعلم بالثور في انفعالاته، وهو وصف يخرج عن الإنسانية شكلا ومعنى، ويعزز وصف الخيزرانة الخارجي (الرهيقة)، مدى القسوة و الوضع القائم بين الطالب والمعلم، من ثم توقع لون مستقبل الطلبة. ولأجل هذه القضية السوسولوجية، كان مطلب الدكتور مشعل وفلسفته أنسنة ورفع مستوى الشخصيات المرموز إليها بالديدان في متن الرواية.

وفي المكان العام تتعدد الشخصيات وأوصافها للدلالة على الرؤية السوسولوجية، على النحو الآتي:

«ولج الفيلسوف أحد المراكز التجارية الفاخرة، وهاله عدد الشباب الفاغري الأفواه، الذين ليس لتواجدهم أي غرض حقيقي باستثناء معاكسة ومشاكسة الإنانث، ولاحظ أنهم يرتدون ثيابا بيضا ومخضرة، تضيق بشدة عند الخصر والأكتاف، وكأنها فساتين نسائية مشغولة بمهارة على مقياس الجسد، وكان هؤلاء الفتية كلما مرت بقلوبهم غانية مياسة القد، يتهافتون على فرش درهما بالقصاصات الورقية الملونة فيها أرقام هواتفهم السيارة، على أمل أن تلتقط واحدة منها، وتتصل بصاحب الحظ السعيد لتضرب له موعدا»⁽²⁾.

يصاحب السارد خطوات الفيلسوف بين ثنائية الشباب/ الفراغ، وما ينتج عنها من معاكسة الأثنى. وهي رؤية انتقادية يتبنى نقلها وصف خارجي للأفواه، يعكس انفعال ورؤية الشخصيات في

(1) فيلسوف الكرتينة: 14

(2) المصدر السابق: 17

الجنس الآخر (الأنثى)، و يسهم الوصف في تجلي تماهي شخصية الشباب بالنساء " يرتدون ثيابا بيضاء ومحصرة، تضيق بشدة عند الخصر والأكتاف، وكأنها فساتين نسائية مشغولة بمهارة على مقاس الجسد"، على أثر هذا كان سعي الدكتور مشعل وفلسفته نحو أنسنة الشباب وتغيير ثقافتهم السلبية.

وفي المقطع الآتي تسلط الرؤية الانتقادية ضوءها على فئة الشباب المنتمين إلى الطبقة العالية، من خلال وصفهم الخارجي، وأشياء المكان التي كان لها دلالة نصية، من قبيل:

« أراد الفيلسوف أن يعبر السكة، لكن المفحطين استوقفوه بعروضهم البهلوانية الخطرة، التي يقومون بها، بغرض جذب اهتمام الجنس الآخر، ونيل نظرة استحسان منه، شاهد ثمان سيارات آخر موديل تسير على الإسفلت بعجلتين، والأخيرتان مرفوعتان في الهواء وبداخلها شباب مرحون، انزلت غرتهم عن رؤوسهم، وبدا شكلهم مضحكا وهم يحاولون الجلوس باستقامة على مقاعد سياراتهم المائلة المشوكة على الانقلاب، تتجمهر عدد من مشجعي هذه الرياضة المميتة، وأخذوا يصفقون ويطلقون صيحات الإعجاب، مطالبين السيارات التي تهبط أن تعاود الطيران مرة أخرى، والسير أسرع من السابق»⁽¹⁾.

فالأوصاف في المقطع من مثل: المفحطين، العروض الخطرة، الرياضة المميتة، وسرعة السيارات كالطيران؛ لها دلالة سوسولوجية، بما ابتعدت الرياضة عن مدلولها الإيجابي، فوصفها ب(الرياضة المميتة) عند عدم مراعاة الشباب لحركات المارين، نتيجة انتمائهم إلى طبقة غنية لا تبالي بإهدار المال، يصنف ذلك الوصف الخارجي الدال « ثمان سيارات آخر موديل ...» ترتفع إلى الأعلى على سبيل الاستعراض، إشارة إلى عدم التزام هذه الطبقة بتعليمات السير، وعجز الجانب السياسي (الحاكم) عن تنفيذ قانون العقوبات تجاههم، وهذا استدعاء للمسكوت عنه، ويتمثل بإرهاق الطبقة المتدنية، الواقعة تحت استعباد قوانين الحاكم غير العادلة فيهم، على عكس انفلات الطبقة الغنية.

في إيقاعات الوصف السردي الترميزي للشخصيات تكمن الدلالة السوسولوجية، في المقطع الآتي: «وبدون أية إشارة من القدر وجدوا أنفسهم يتشقلبون في الهواء، ويتساقطون على الإسفلت

بعد أن اصطدمت سيارة الوايت بعمود الإنارة، وكان من حسن حظ الفيلسوف مشعل الذي كان قابعا في المؤخرة جهة اليمين أن الصدمة رمته بعيدا على أرض ترابية فلم يصب إلا برضوض خفيفة. كان عمود الإنارة ذلك منتصبا في وسط السكة تماما، لأنه.....

توسعة الشارع وسفلتته مجددا، لم تجرؤ البلدية على إزالته خوفا من التهم السياسية... فقد كانت صورة القحطاني الكبير معلقة أعلاه، وأية محاولة لإزالة الصورة من مكانها ستفسر على أنها مؤامرة ضد نظام الحكم، قد تصل عقوبتها إلى الإعدام، لذا فضلا البلدية أن تطبق المزيد من السواتر الاسمنتية لحماية العمود من شتى الصدمات التي قد تؤدي لا سمح الله إلى سقوط صورة القحطاني الكبير»⁽¹⁾.

يتضمن تتابع الأفعال الوصفية «يتشقلبون، يتساقطون» نتائج الاصطدام بالعمود الموظف رمزا، يحمل رؤية انتقادية سياسية تجاه انتصاب عمود الإنارة وسط السكة، وما يسببه من حوادث تدل على قلة قيمة أرواح المحكومين، بوجودهم أسفل العمود، وقمع الأعلى للأسفل، بموقع صورة الحاكم أعلى العمود وسط السكة.

وعلى الرغم من الدلالة المبهجة المتعارف عليها للإنارة في الأماكن العامة، إلا أن لها في سياق الوصف دلالة سلبية تحمل عمة القمع، التي تستشف من صوت السارد الساخر، بوصفه صوتا يوالي الجانب السياسي في الظاهر، ويتضمن رفض الأفراد الخفي للحاكم «... قد تؤدي - لا سمح الله - إلى سقوط صورة القحطاني ..»، يكشف السارد هذا القمع بتفسيره جوانب الحدث السياسي، بالقول: «أي محاولة لإزالة العمود ستفسر على أنها مؤامرة ضد نظام الحكم، قد تصل عقوبتها إلى الإعدام»؛ لذا لا تستطيع البلدية عمل أي شيء سوى أن تضيف المزيد من السواتر الاسمنتية لحماية عمود الإنارة، وتستشف وجهة نظر الشخصية / الساردة في مدى القمع بوضع (لا سمح الله) جملة اعتراضية خلفها تكمن سلبية الأوضاع في ظل حكم القحطاني للأفراد.

من القضايا السوسيو سياسية ثقافية، عدم استحقاق الشخصية للمنصب، نتيجة غياب القوانين، كما يشير الوصف الخارجي والمعنوي، الآتي:

(1) فيلسوف الكرنتينة: 24.

"عقب انتظار دام أربع ساعات، سمح للفيلسوف مشعل الحجازي بمقابلة رئيس الجامعة، وعلى عكس ما توقع الفيلسوف كان رئيس الجامعة شابا وسيما، حليق الذقن، ويربي شاربين معقوفين، ويضفي على نفسه مهابة علمية بنظارته الطبية الكبيرة المربعة، رغم أنه لم يحمل أية درجة أكاديمية"⁽¹⁾ فالوصف صريح يشير إلى الفئة العمرية الصغيرة لرئيس الجامعة، الذي لا يبدو عليه آثار الزمان، وجهد جمع العلم، فهو شاب وسيم، يربي شاربين معقوفين..؛ تستبعد رؤية السارد الخارجية أهليته لمنصب رئيس الجامعة، ولعدم استحقاقه يتمثل الموصوف مهابة زائفة بلبس نظارة طبية كبيرة مربعة. ويتجلى مظهر القهر السياسي أثناء الوصف الخارجي لشخصية الفيلسوف، بعد خروجه من السجن، من قبيل:

"مشى باتجاه البحر محدودب الظهر، وبرزت العروق الخضراء نافرة في عنقه وكفيه ورجليه وذيله الطويل المهترئ من القدم، والمسود من تراكم الأوساخ بخيطة ربلتي ساقيه، حافرا فيهما أودية من الذل والعبودية"⁽²⁾.

يبدو أثر المعاناة على الفيلسوف، وكأنه في مرحلة متقدمة من العمر "محدوب الظهر، برزت العروق الخضراء نافرة في عنقه وكفيه.."، ومن تركيب الذيل في مؤخرته يستشف قهر السلطة للمحكوم، والذل والعبودية واسعة المدى كما يصرح الوصف "حافرا الذيل أودية من الذل والعبودية..". فمن " تعميق الوصف التركيبي للشخصية "تكشف الظروف النوعية للأبطال"⁽³⁾.

وفي سياق استرجاع الفيلسوف لأحداثه، يقارن حال الفقراء والأغنياء بوصف معنوي يتصل بصورة أساسية بالبنية الفكرية والأيدولوجية العامة للرواية، على النحو الآتي:

"الفقراء يستخدمون الحيلة لانتزاع فئات الموائد، والأغنياء يخدعون الأرض والسماء للاستيلاء على خيرات المائدة"⁽⁴⁾.

(1) فيلسوف الكرتينية: 288

(2) المصدر السابق: 259

(3) نفسه: 259

(4) نفسه: 55

يسبب وضع الفقراء اتخاذهم الحيلة وسيلة للوصول إلى الاستقرار المادي، من فئات وبقايا موائد الأغنياء، فبدا واقع الفقراء بين معاناتي الجوع والحيلة، وصراعهم مع الطبقة العليا، يذكر الفيلسوف في موضعين أن: "الأمنية الوحيدة في هذا العالم التي يسعى الجميع وراء تحقيقها هي الشيع" (1)، ويسترجع أيضا: "زملائي كانوا يفكرون في مستقبلهم على نحو مختلف تماما، واحد يتمنى أن يصبح طبيبا، وآخر طيارا.. أما أنا فكنت أتمنى أن أصير شعبانا" (2).

وللأغنياء طرق سلبية يتخذونها لأجل الحصول على هدفهم، وهم يخدعون الأرض والسماء للاستيلاء على خيرات المائدة. من هنا بدا تماثل الحيلة / والخداع بين فئتين متصارعتين، ما يعكس سلبية الوضع القائم السوسولوجي في مجتمع الشخصيات.

فعبّر تقنية الوصف تجلت أحوال المحكومين منها: الفساد الاجتماعي الخلقي لدى شخصيات، والقهر الاجتماعي الذي تسلط على الأفراد من قبل القحطاني، إزاء فساده السياسي.

المحور الثاني: الوعي الممكن

يستوجب الوضع القائم "وعيا ممكنا يتجاوز في تطلعه وتعبيره عن مكنونه ذلك المستوى السكوني للوعي القائم ليشكل تصورا أمثل لمستقبل يمنح بعدا آخر لمعالجة الأزمة" (3).

على أثر الواقع القائم، السابق تحليل دلائله من عدة نصوص يكون الوعي الممكن في المقاطع نفسها؛ لوجود الشخصية الرئيسة (الفيلسوف) في كل المقاطع بوصفه رؤية إيديولوجية رافضة للواقع، ينوب صوته عن صوت الجماعة الخفي.

ففي المقطع الحوارى الأول:

"- القحطاني للفيلسوف: هل ظلمك أحد من رعيتي؟

(1) فيلسوف الكرتينة: 54

(2) المصدر السابق: 54

(3) البنيوية التكوينية: 161

- الفيلسوف: نعم فإني وصلت إلى مقبرة زيمة بالأمس، فما والله ذقت حتى قطرة ماء واحدة، وإني لأوشك على الهلاك من العطش.

- القحطاني: لو كنت أسقيتهم لسقوك⁽¹⁾.

انتهى الحوار برفض الفيلسوف لمرادة الغيداء والشيخ له عن نفسيهما، وهي رؤية انتقادية من المجتمع، رافضة لنظام وسياسة الحاكم، الصوت المقابل للفيلسوف في المقطع. ورؤيته - هنا - ليست فردية مستقلة بالشخصية، بل تحمل وعيا جماعيا، يتطلع إلى تغيير وضع المجتمع بتغيير الحاكم، يمثل هذا الوعي الممكن الذي عده غولدمان مرحلة تالية للوعي القائم.

وفي حوار الحوصلي والشاعر شيحان، يذكر هذا الأخير: "سأنشر قصيدة في مدح خصال القحطاني الكبير، وأذيلها بثلاثة أبيات، وأشرح فيها ظروف المادية الصعبة التي حالت دون تفرغي لكتابة الشعر"⁽²⁾.

فالوعي الممكن كائن في الطموح في تغيير واقع الشاعر، بعدم اتخاذ منه وسيلة لغرض وعائد مادي، ما يدل على عدم وعي الجهة الحاكمة بقيمة الأدب، من ثم حرمان الشاعر من الحقوق.

وفي المقطع الحواري الثالث بين الفيلسوف وحصعة، تسمع هذه الأخيرة من الفيلسوف رؤية انتقادية في سبب فقر المجتمع، الذي يعزى إلى عدم مزوالة الفرد للعمل المناسب له، ويرى الفيلسوف الخروج من الفقر بـ "عمل انقلاب هائل في مجتمعنا؛ لكي يزول كل فرد المهنة التي تتجلى عبقرية عمله فيها"⁽³⁾، يواجه بهذا القرار الجانب السياسي المتمثل بالحاكم القحطاني، وهنا يكمن الوعي الممكن، وما يتضمن من مطلب جماعي لا فردي.

ولا يخلو الحوار من ذكر سيرة الفيلسوف، الذي يمثل مطلب الوعي الممكن، بما يسعى إليه، من تطوير وأنسنة الديدان (رعية الحاكم)، بالنظر إلى مكانة الأديب.

(1) فيلسوف الكرتينية: 34

(2) المصدر السابق: 95، 96

(3) المصدر نفسه: 91

وأخيرا يتضمن الحوار اقتراح السفير للحاكم وضع الأذيال في مؤخرة كل فرد من رعيته، استعبادا وقمعا لهم، تحت رغبات الحاكم غير السوية، يقابل هذا الفيلسوف وهو يمثل الصوت الجماعي الراض لذلك، ففي حوار مباشر سابق يخاطب فيه السفير الحاكم: " لقد عاد الدكتور إلى بلاده وأهله منذ ثلاث جثث وفي ذهنه أن يحاول نشر أفكاره التطورية الهادفة إلى أنسنة الديدان في غضون جيل واحد، جيلنا واحد، وأرى أننا الآن - وهذا رأيي الشخصي - نعيش في مرحلة تغيرات ذهبية، وستكون لحظتنا هذه لحظة فاصلة في التاريخ"⁽¹⁾. وعلى مدى الرواية تكرر تركيب وصف الزمن (ثلاث جثث) الدال على مدى المعاناة التي واجهها الفيلسوف لأجل تغيير أوضاع أفراد الرعية أمام سلطة الحاكم وفساده.

ووصف المرحلة العمرية (العام) بالجثة لم يقتصر على الفيلسوف فقط، فقد وصفت أعمار الشخصيات في متن الرواية بذلك؛ للدلالة على اللاحياة بشمول القمع والفساد جوانب حياة الأفراد أثناء سلطة الحاكم القحطاني.

ويذكر أيضا: "من المنجزات الهامة التي يعتز بها الدكتور تخريجه لحوالي ثمانين عالما إنسانويا من مركزه، هؤلاء الذين يحملون الآن مشعل الإنسانية إلى كل جهات الأرض"⁽²⁾، من هنا مثل الفيلسوف الوعي الممكن المتطلع لمستقبل أفضل، للجماعة التي يمثلها، الموجودة في فضائه الزمكاني.

ويستشف الوعي الممكن من مقاطع وصفية، تستجلي فيها الحالة الانفعالية للفيلسوف والمعلم في الآتي: "مر بالقرب من مدرسة ابتدائية، واستفزه منظر معلم ملتج، يتطاير الشرر من عينيه، .."⁽³⁾

في المقطع تم عرض رؤية السارد في علاقة المعلم السلبية بطالب الابتدائية، ويتجلي موقف الفيلسوف الراض من خلال الوصف "استفزه منظر المعلم.."، وفيه يكمن الوعي الممكن وهو يحمل استنكاره لأسلوب المعلم، وطموحه - بوصفه صوتا يمثل الجماعة - في نحو ذلك مستقبلا.

وفي وصف آخر كان الفيلسوف شخصية مشاركة له رؤية:

(1) فيلسوف الكرتينة: 215

(2) المصدر السابق: 215

(3) المصدر نفسه: 14

"ولج الفيلسوف أحد المراكز التجارية الفاخرة، وهابه عدد الشباب الفاغري الأفواه، الذين ليس لتواجههم أي غرض حقيقي باستثناء معاكسة ومشاكسة الإنانث، ولاحظ أنهم يرتدون ثيابا بيضا ومخضرة، تضيق بشدة عند الخصر والأكتاف، وكأنها فساتين نسائية..."⁽¹⁾ إذ كان الوعي الممكن أمل الفيلسوف حاضرا ومستقبلا في تطبيق أنسنة الديدان ورفع أخلاقيات الشباب

ويستشف الوعي الممكن في سياق وصف سردي، بالرؤية الانتقادية من قبل الفيلسوف في لامبالاة الشباب - المنتمين إلى الطبقة الغنية - بعامة الأفراد المارين من أمامهم.

"أراد الفيلسوف أن يعبر السكة، لكن المفطحين استوقفوه بعروضهم البهلوانية الخطرة، التي يقومون بها، بغرض جذب اهتمام الجنس الآخر، ونيل نظرة استحسان منه، شاهد ثمان سيارات آخر موديل..."⁽²⁾ وعند سقوطهم تحت عمود الإنارة الموظف رمزا، يكمن الوعي الممكن ورفض الفيلسوف لقمع الحاكم المثبتة صورته أعلى العمود".

على عكس ما توقع الفيلسوف كان رئيس الجامعة شابا وسيما، حليق الذقن، ويربي شاربين معقوفين، ويضفي على نفسه مهابة علمية بنظارته الطبية الكبيرة المربعة، رغم أنه لم يحمل أية درجة أكاديمية.."⁽³⁾ إذ يشير السارد / الواصف بعدم توقع الفيلسوف إلى الطموح المستقبلي في اختيار رئيس الجامعة وفقا لما في القانون من معايير استحقاقه للمنصب ومن ثم ضمان إفادة المجتمع به.

ويستشف الوعي الممكن من وصف الفيلسوف وصفا حسيا إيجائيا، تحمل دلالاته رفض الفيلسوف للذل والعبودية "مشى باتجاه البحر محدودب الظهر، وبرزت العروق الخضراء نافرة في عنقه وكفيه ورجليه وذيله الطويل المهترئ من القدم، والمسود من تراكم الأوساخ بخيط ربلتي ساقيه، حافرا فيهما أودية من الذل والعبودية"⁽⁴⁾.

(1) فيلسوف الكرتينية: 17

(2) المصدر السابق: 18

(3) نفسه: 288

(4) نفسه: 259

ويكشف صوت الفيلسوف خلال مقارنة وصفية طموحه في نحو التباين الطبقي ووجود فتي الغني/ الفقير "الفقراء يستخدمون الحيلة لانتزاع فتات الموائد، والأغنياء يمدعون الأرض والسماء للاستيلاء على خيرات المائدة"⁽¹⁾.

احتوت المقاطع السابقة على طموحات السارد في تغيير أوضاع الأفراد المحكومين، والوقوف ضد سياسة الحاكم وقمعه واستعباده لهم.

نتائج البحث:

تستقي الرواية موضوعاتها من عمق الواقع، والوضع القائم الآني للمجتمع، والمطموح فيه، الممكن الآتي، برغبة التغيير ورسم مستقبل أفضل. وذلك عبر عناصر فنية تشغل فيها الرواية الإجراءات البنيوية مرتبطة بمجتمع الرواية، إذ يتم الكشف عن الموضوعات السوسيوسياسية الاقتصادية دينية ثقافية، بالوقوف على مواقف الشخصية ورؤاها، من مشهد حوارها الخارجي الذي يمكن المتلقي من التزامن مع صوتها وانفعالاتها بعيدا عن صوت الراوي، وكذلك وصفها سواء أكان وصفا خارجيا أم داخليا، ووصف أفعالها، للتعريف بحالة الشخصية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية والسياسية، وانعكاس ذلك عليها.

ويتم الوصول إلى الرؤى من خلال الكشف عن أدوار العناصر والأساليب منها: الحوار والوصف اللذان لا يكون لهما دور محايد، بارتقاء دوريهما، وتجلي موقف الشخصية الرئيسة (الفيلسوف) - من خلالها - تجاه السلطة الحاكمة، فضلا عن موضوعات اجتماعية سياسية لشخصيات أخرى، تعكس علاقة الحاكم القحطاني السلبية بالرعية.

إن بروز المضمون من خلال الشكل، أي من عناصر وأساليب الرواية هو منهج وسير باحثين البحثي وفاليري زبما من بعده، في تحليل النص على أساس تعاضد المضمون والمبنى معا، استفادة من البنيوية والواقع الفني في النص، تأسيسا للسوسيونصية، وابتعادا عن النظر إلى المضمون كقضية انعكاس آلي للمجتمع.

المصادر والمراجع:

1. الأهدل، وجدي، فيلسوف الكرنينة، مركز عبادي صنعاء، ط1، 2007م.
2. باختين، ميخائيل الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الأمان، الرباط، ط2، 1987م.
3. بجاوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المجلس الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.
4. بجري، محمد الأمين، البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الأصول المنهجية دراسة في نقد النقد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015م.
5. البدوي، محمد علي، علم اجتماع الأدب النظرية والمنهج والتطبيق، دار المعرفة الجامعية.
6. بليخاتوف، جورج، الفن والتصور المادي للتاريخ، تر: جورج طرابشي، دار الطليعة بيروت، ط1 - تودروف، تزفيطان باختين المبدأ الحوارية، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية، بيروت، ط2، 1996م.
7. جاد، عزت، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة العامة المصرية، ط1، 2002م.
8. رزق، صلاح، أدبية النص محاولة لتأسيس منهج نقد عربي، دار غريب، القاهرة، 2002م.
9. زبما، بيير، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنص الأدبي، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1991م.
10. عبد السلام، فاتح، الحوار القصصي، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 1999م.
11. عيلان، عمرو، الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيوثقافية في روايات عبد الحميد هذوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2001م.
12. لحداني، حميد، النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيوثقافية الرواية إلى سوسيوثقافية النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.
13. لوبوك، بيرسي، صنعة الرواية، ت: عبد الستار جواد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م.
14. الماضي، شكري عزيز، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993م.
15. نجمي، حسن، شعرية الفضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000م.

16. هيجل، جورج فلهلم، علم الجمال وفلسفة الفن، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010م.
17. يوسف، آمنة، تهجين الاتجاه في سرد ما بعد الحداثة، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 2012م.